نِسَاء حَبِيبات (٣)

رملة زوج النبي ﷺ

ابنة أبي سفيان

أم حبيبة

أخت معاوية

أقرب نساء النبي ﷺ إليه نسبًا

رضوان دعبول

دار البشير

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

****

رقم التصنيف : ٧٢ر٩٢٠
المؤلف ومن هو في حكمه : رضوان إبراهيم دعبول
عنوان الكتاب : رملة زوج النبي (سلسلة نساء حبيبات ٥)
الموضوع الرئيسي : ١ـ التراجم
٢ـ النساء المسلمات (تراجم)
رقم الإيداع : (١٩٩٨/٣/٣٦٨)
بيانات النشر : عمان: دار البشير للنشر
• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (١٩٩٨/٣/٢٨١)

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس : (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع
مؤسسة الرسالة / بيروت . شارع سوريا . بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ ص.ب ٧٤٦٠ برقيًا : يوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

في المجتمعات لا بُدَّ من سادةٍ، ولا بُدَّ من عَبيد. هكذا خلقَ اللهُ العبادَ، رتَّبَ هذا الكونَ في الدنيا وجعلَ فيهم السُّعداءَ، والأشقياءَ، حتى في الآخرةِ.

منهم مَن يدخلُ الجنةَ خالداً فيها، ووعَدَهُ الله بجناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ يَلبسونَ ثياباً من سندسٍ خضر، وأساورَ من فضةٍ.

ومنهم منْ يذهبُ إلى جهنمَ وبئسَ المصيرِ يومَ تُكْوَى جباهُهُم، هذا ما كنزْتُم لأنفسكُمْ. فذوقوا ما كنتم تكنزون.

زواج رملة الأول

في مكةَ عرسُ ابنةٍ منْ بناتِ الأسيادِ أو السادةِ من بناتِ بني أميةَ على شابٍّ من السادة من بني أسد.

الجميعُ يعملُ، فأبو سفيان صخرُ بن حرب بن أميةَ بن عبدِ شمس. سيزوِّجُ ابنتهُ رملةَ[1] إلى رجلٍ من السادةِ هو

(١) رملة: هي بنت صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، اشتهر =

عبيدُ اللهِ بنُ جحش أحـدُ السـادةِ من بني أسدَ. كانَ عمرُ العروسِ يومئذٍ ستةَ عشرَ ربيعاً[1].

وتزوجتْ رملة وذهبتْ إلى دارِ زَوجِها معزَّزةً مُكرمةً.

إسلامها:

وشرحَ اللهُ صدرهَا هي وزوجُها للدينِ الجديدِ الذي جاءَ بهِ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فآمنتْ وآمنَ ودخلا في دينِ اللهِ وأَسلَما.

هي تعلمُ أنَّها ابنةُ أبي سفيانَ أكبرِ أعداءِ هذا الدينِ، وله مَعَهُ صولات وجولات، وهي تدركُ عِظَمَ المسؤوليةِ فيما لو عَلمَ والدها بالخبر، ومع ذلك، أسلمتْ.

وأسرَّ أحُدُهم بالخبرِ إلى أبي سفيانَ، فلم يصدِّقْ، ولم يتصوَّرْ أنَّ إحدى بناتِهِ تخرجُ عن طاعتِهِ لتلحقَ بالدِّينِ الجديدِ

= بأبي سفيان، كان في الجاهلية من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم.

وأمها: صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

(١) كان ذلك العام الخامس للدعوة ـ ٨ للهجرة.

فهـو أمرٌ غيرُ مقبولٍ.

وغضِبَ أبو سفيانَ وثارَ تاركاً حِلْمَهُ ووقارَهُ وتوعَّدَ، وذهبَ إلى ابنتهِ بينَ مُصدِّقٍ ومُكذبٍ، وطرقَ البابَ بعنفٍ.

وفُتحَ البابُ، وكانتْ خلفه رملةُ.

فقال: أحقاً صبأتِ. وتركتِ دينَ آبائكِ وأجدادكِ.

فقالت: أيُّ آلهةٍ تلكَ، إنّها أحجارٌ تنحتونها بأيديكم.

فما كانَ من أبي سفيانَ إلّا أن لطَمَها على وجهِهَا ولم يتمالكْ نفسَهُ وهو يَتوعَّدُ ويزمجرُ ويلعنُ، وخرجَ لا يلوي على شيءٍ.

أرسلَ لها من يُثنيها عن عزمِها فأَبتْ وأَصرَّتْ على موقِفِها وتمسّكتْ بدينِها، فعادَ إليها قائلاً لها: ألعلَّكِ فكَّرتِ ودبَّرتِ وسمعتِ عن الخطةِ التي تُدبِّرها قريشٌ للقضاءِ على محمدٍ وصحبِهِ؟!

قالت: واللهِ لو قطَّعتَ جسدي عُضواً عُضواً، ما رجعتُ عن دينِ الله بعدَ إذْ هداني اللهُ إليهِ.

قال: أَيعِدُكُم بالبعثِ بعد أَنْ تصيروا عظاماً ورُفَاتاً؟!

قالت: نعم ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرتْ﴾[1].

قال: هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعَدونَ.

لقد كان إسلامُ رملةَ كبيراً عند أبي سفيانَ فهي حبيبةٌ أثيرةٌ لديهِ، فتركها وعادَ إلى قومِهِ ينظرُ في أمرِ محمدٍ وما جاءَ بهِ.

★ ★ ★

هجرتها إلى الحبشة

وفي أحدِ الأيامِ انطلقَ عُبيدُ اللهِ وزوجتهُ رملة[2] مع نفرٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ - بطلبٍ منهُ - بعد أن جمعوا بعضاً من حوائجهم واتجهوا صوبَ الحبشةِ، وركبوا سفينةً أقلَّتهمُ إلى الحبشةِ، وسُمُّوا بأصحابِ السفينةِ، وعُرفتْ هِجرتهم في التاريخِ بالهجرةِ الأولى.

---

(١) الانفطار آية رقم «٤ - ٥».

(٢) كان عمرها ستة عشر ربيعاً يوم أن تزوجها عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة وهي حامل وكان تعداد المسلمين الذين هاجروا اثني عشر رجلاً وأربع نساء.

وأرسلَ المشركونَ إلى النجاشيّ يطلبونَ إليهِ أن يُعيدَهُم إلى أرضهم، وأن يكُفَّ عن حمايتِهم.

وكـان الـوفـدُ مؤلفـاً من عبـدِاللهِ بن ربيعةَ، وعمرو بن العاصِ، وتحدثَ عمرو بنُ العاصِ، أمام النجاشيّ كلاماً أفزعَ المسلمينَ.

وكـان الأمـرُ كما كانَ أمر فرعونَ مع موسى حينَ ألقى عصاهُ فإذا هيَ تلْقَفُ ما يأفكونَ.

فوقفَ جعفرُ بنُ أبي طالب، وتحدَّثَ بلهجةِ الواثقِ من نَفْسِه وممَّا يحملُ كيفَ لا؟ والمكان مناسبٌ للدعوةِ إلى اللهِ. فما أن أنهى كلامَهُ حتى قال النجاشيُّ: اذهبوا فأنتم آمنونَ في أرضي، مَنْ سبَّكُم غَرِمْ، مَنْ أحبَّكُم غَنِم.

هكذا الأمرُ إذا وقفَ الإنسانُ يدافعُ عن قضيةِ السماءِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ في الأرضِ.

وتلِدُ رملة بنتـاً وتسميها «حبيبة»، لقد كانتْ حبيبةً إلى نفسِها، ملأتْ عليها يومها، فكانت تترقبُ الأخبارَ من مكةَ ثمَّ من المدينةِ حيثُ هاجرَ الرسولُ ﷺ.

حلم مزعج

وبينما هي نائمةٌ إذْ رأتْ في منامِها زوْجَها عُبيدَالله قد تمثَّلَ لها على شكلِ خنزيرٍ، ففَزِعتْ من الرُّؤيا، واغتَمَّتْ مما رأَت في منامها، وتمنت لو كانت في المدينة المنورة، حيث كان رسولُ اللهِ يسألُ أصحابَهُ عن مناماتِهم، ليُفسِّرَها لهم.

ودخـلَ عُبيدُاللهِ ذاتَ يومٍ دارهُ تفوحُ منهُ رائحةُ الخمرِ فاستغربتْ أم حبيبةَ إلا أنها تركتْهُ حتى كان الصباحُ. فقامتْ وصلَّتْ الصبـحَ وتَلَتْ ما تيسَّرَ لها منَ القرآنِ. ونظرتْ إلى زوجِها نظرةَ إشفاقٍ، وعِتابٍ، وسؤالٍ وانتظرتْ.

لقد قَتَلَتْهُ نظراتُها وجعلتهُ يطأطئُ خَجلاً. فكان موقفـاً لا يُحسـدُ عليهِ، ﴿**فـأَمَّا مَنْ طَغَىٰ**[1]**وآثرَ الحَياةَ الدُّنْيا، فَإنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَىٰ**﴾.

ولـذلكَ وقفَ وقفةَ اللَّامبالي، ثم فكَّر كيفَ يخرجُ من مأزقِه وقال:

ـ تعلمينَ أني كنتُ على دينِ النصرانيةِ، ولقد عدتُ إلى

(١) النازعات آية رقم «٣٧ ـ ٣٨».

ديني وكفى.

فقالت: واللهِ ما خير لك.

وأخبرته بالرؤيا التي رأتها فلم يَحْفَلْ بها وأكبَّ على الخمرِ حتى ماتَ.

وبقيتْ أم حبيبةَ مع مَنْ بقيَ من المسلمينَ تَعُدُّ الأيامَ وتترقَّبُ الأحداثَ، تسمعُ من القادمينَ الجديدَ من الأحداثِ والآياتِ المنزَّلةِ، وما فعلَ الرسولُ وصحبهُ، فها هو رسولُ اللهِ ينتقلُ إلى المدينةِ، وينتصرُ على بني قريظة ويطردهم من المدينةِ، لقد استقرَّ الأمرُ للرسولِ ودانتْ له المدينة.

وحلم جميل

وذاتَ يومٍ رأتْ رملة في منامِها من ناداها بـ«أمّ المؤمنينَ» فانتفضتْ وقامتْ تفكِّرُ في هذا الأمرِ، كيفَ يكونُ ذلكَ، وما معنى «أمُّ المؤمنين»؟ لقبٌ لم تسمعْهُ مِنْ قبلُ ولم تعرفْهُ، وبقيتْ لم يفارقها التفكيرُ في ما رأتْ.

كانت مسرورةً مستبشرةً دونَ أن تعرفَ السببَ، كان

وَجهُهُا يشعُّ بالنورِ وابتسامتُها لا تَفترُ كأنَّها على موعدٍ مع أمرٍ هامٍ يُغَيِّرُ مجرى حياتِها تمْسِكُ بابنتها تُقبِّلها، تهرعُ إلى الصلاةِ خاشعةً مُتبتلةً، تقرأُ القرآنَ سارحةً فيه، متدبرةً آياتِهِ، كأن هذهِ الآياتِ لها طعمٌ جديدٌ لم يكن لها من قبل.

تقولُ أمُّ حبيبة:

فما هو إلّا أن انقضتْ عدتي فما شعرتُ إلّا برسولِ النجاشي على بابي يستأذنُ، فإذا جارية لهُ يقالُ لها «أبرهة» كانت تقومُ على ثيابهِ ودهنِه فدخلتْ عليَّ فقالتْ:

إن الملكَ يقولُ لكِ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كتبَ إليّ أن أزوجه.

وسألتها عَمَّا يريدُ فأجابتْ أبرهة:

لقد جاءَ وفدٌ منَ المدينةِ بكتابٍ حملهُ رجلٌ يُدعى عمر بن أميةَ الضَّمريّ، فيهِ أنَّهُ يطلبُكِ زوجةً لهُ ويقولُ لكِ: وكِّلي مَنْ يزوجكِ.

لحظاتٌ في حياةِ أمِّ حَبيبةَ أرجعتها إلى الحُلمِ حينَ ناداها المنادي «يا أمَّ المؤمنينَ»، والنساءُ كلُّ النساءِ من

السهلِ عليهنَّ تذكُّرُ مثل هذا وربطِ الأحداثِ الآتيةِ بمنامٍ سبق، وسرحتْ بفكرِهَا إلى المدينةِ.

لقد كانَ والدُهَا سَيِّدَ قومِها، وجاءَها الدَّاعي لتكونَ زوجة سيدِ العالمين محمدٍ رسولِ اللهِ، فهل وسِعَتها الأرضُ فرحاً، أمْ أن حُلماً جديداً قد عاوَدَهَا.

وأفاقتْ من شرودهَا تَذْكُرُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿**هٰذَا تَأْوِيلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾[1].

وأمسكتْ بسوارينِ من فضةٍ خلعتهُما على عجلٍ مع خواتيم كانت بيدها وأعطتهما أبرهةَ جزاءً لها وبشارةً.

★★★

وأصلحتْ أم حبيبة من شأنِهَا، وأرسلتْ إلى خالد بن سعيد بن العاصِ بن أميةَ فوكَّلَتْهُ[2] بتزويجها، كما أمر النبي ﷺ.

فلما كان العَشيُّ أمرَ النجاشيُّ جعفرَ بنَ أبي طالبٍ ومَنْ

---

(١) يوسف «١٠٠».

(٢) كان عمرها يومئذٍ واحد وثلاثين عاماً.

هناكَ من المسلمينَ أن يحضروا، وخطبَ النجاشيُّ فحمدَ الله، وقال: أمَّا بعدُ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كتبَ إليَّ أنْ أزوِّجَهُ أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ، فأجبتُ إلى ما دعا إليهِ رسولُ الله ﷺ، وقد أصدقتُها أربعمئةِ دينارٍ، ثم سكبَ الدنانير بينَ يَديّ القوم.

فتكلَّم خالد بن سعيد فقال:

الحمدُ لله أحمدُهُ وأستعينهُ وأستنصرهُ، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه، أرسلهُ بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَهُ على الدينِ كُلِّهِ، ولو كرهَ المشركونَ.

فقد أجبتُ رسولَ الله ﷺ إلى ما دعا إليهِ، وزوَّجْتُهُ أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ، وبارَكَ اللهُ لرسولِه.

ودفعَ النجاشيُّ الدنانيرَ إلى خالد فقبضها، وأرادوا أن يتفرقوا.

فقال النجاشيُّ: اجلسوا فإنَّ من سُنّةِ الأنبياءِ إذا تزوَّجوا أن يؤكلَ طعامٌ على التزويجِ. ودعا بطعامٍ فأكلوا، ثم تفرَّقوا.

ومضى القومُ كُلٌّ إلى بيتهِ وجماعتِهِ، بعضهم يفكرُ في أمرِ دنياهُ، وبعضهم يفكرُ في أمرِ آخرتِهِ، ثم هدأ القومُ وناموا . .

وبقيتْ أم حبيبةَ تفكرُ، وتعملُ الفِكرَ وتنظرُ حولَها لترى ابنتَها حبيبةَ نائمةً فتُقبِلُ عليها تعانِقُهَا وتُقَبِّلها .

ما بالُ هذهِ المرأة اليومَ . . لا يستقرُّ لها قرارٌ ولا يَغْمَضُ لها جفنٌ فهي بينَ شاردةٍ أو متضرعةٍ إلى اللهِ تدعوه، وتلجأ إليه، راضية بقضائه .

وتأوي إلى فراشِها تحاولُ جاهدةً أن تنامَ، ولمَّا أجْهَدَهَا التعبُ أخذَتْ غَفْوةً فإذا الصبحُ قد انبلجَ، فقامتْ وتوضأتْ ووقفتْ بينَ يدي الرحمٰن تدعُو وتدعُو . .

ووصلتْ الدنانيرُ إلى أم حبيبةَ فأرسلتْ إلى أبرهةَ وقالتْ لهَا : إني كنتُ أعطيتكِ ما أعطيتكِ يومئذٍ ولا مالَ بيدي، فهذهِ خمسونَ مثقالاً فخذيها فاستعيني بها . فأبتْ وأخرجتْ حقاً في كل ما كانتْ قد أعطتها إياهُ فردتهُ وقالت : عزمَ عليّ الملكُ أنْ لا أرزأكِ شيئاً . وأنا التي أقومُ على ثيابهِ، وقد اتَّبعتُ دينَ

محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ، وأسلمتُ لله عزَّ وجلَّ، وقد أمرَ الملكُ نساءَهُ أن يبعثنَ إليكِ بكلِّ ما عندهُنَّ من العطرِ.

قالت أم حبيبة:

فلما كان الغدُ جاءتني بعود وورس وعنبر وزبادٍ كثيرٍ وقالتْ أبرهة: فحاجتي إليكِ أن تقرئي رسولَ اللهِ ﷺ منّي السلامَ وتُعلميهِ أني تَبِعْتُ دينَهُ.

وقالت أمُّ حبيبةَ:

ثم لطِفتْ بي، وكانت التي جهَّزتني، وكانتْ كُلَّما دخلتْ عليَّ تقولُ: لا تنسي حاجتي لديكِ.

وبعثَ الرسولُ ﷺ شُرحبيلَ بن حسنةَ فجاءَ بها.

★★★

العودة إلى المدينة

ولما قدمتْ أمُّ حبيبةَ، أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بلالاً، فأخذ بخطامِ بَعيرها، فأنزلَها المنزلَ الذي أمرهُ النبيُّ ﷺ، فإذا فيهِ كناسة، فقالت لمولاةٍ لها:

إنْ شئتِ كفيتِني السَّقيَ، وكنَسْتُ، وإن شئتِ استقيتُ وكنستِ.

فكنسَتْ أمُّ حبيبةَ البيتَ ثُمَّ بسطتْ فيهِ بِسَاطَ شعرٍ ثمَّ بسطتْ عليهِ شيئاً، ثم أسرتْ.

ثم أُذِنَ لرسولِ اللهِ ﷺ بالدخولِ على أهلِهِ فلمَّا دخلَ عليها وجدَ ريحَ الطيبِ، فلم يَعترِض.

وكانت أمُّ حبيبةَ تتعطَّرُ للنبيِّ، وتتزيَّنَ لَهُ، ويجدُ العطرَ الذي جاءتْ بهِ منَ الحبشةِ عندَها، ولا يُنْكِرُهُ.

★★★

إن امرأةً كأم حبيبةَ جاءتْ من الحبشةِ قادمةً زوجةً لأكرمِ المرسلينَ تفاوضُ مولاةً لها على الكنسِ والسَّقي (الرش) وتتوازعانِ العملَ.

وما كانَ بيتُ الزوجيةِ، وما عساهُ يكونُ الفرش؟!

لقد كانَ بساطَ شعرٍ، وبساطاً آخر، وفراشاً، هذا كلُّ ما في الأمرِ، حياةٌ بسيطةٌ رغدة سهلةٌ، يرضى بها نبيُّ اللهِ، ولو سأل اللهَ لأعطاهُ، فهذا سيدُنا سليمانُ قال:

من يأتيني بعرشِها قبلَ أن يأتوني مسلمين؟ فقال عِفريتٌ من الجنِّ:

أنا آتيكَ بِه قبلَ أن تقومَ من مقامِكَ.

وقالَ آخرُ: أنا آتيك بهِ قبلَ أن يرتدَّ إليكَ طرفُك.

فقد كانَ بالإمكان أن يكونَ بيت الزوجية قصراً مشيداً، ولكن اللهَ أرادَ لنبيِّهِ غيرَ هذا.

وبلغَ أبا سفيانَ خبرُ زواجِ النبيِّ ﷺ من ابنتهِ رملةَ، ونظرَ إلى بعيدٍ وقالَ:

«ذلكَ الفحلُ لا يقرعُ أنفه».

وكان قد نزل في زواجِ أم حبيبة آياتٌ من القرآن الكريم فيها: ﴿**عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الَّذينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُم مَوَدَّةً**﴾[1].

وكانتْ أياماً جميلةً عاشتها أُمُّ حبيبةَ في المدينةِ بقرب رسولِ اللهِ ﷺ زوجةً مكرمةً معززةً.

وقدِمَ أبو سفيان المدينةَ آملاً أن يزيدَ في الهُدنةِ التي تمَّ

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم «٧».

الاتفاقُ عليها في صلحِ الحديبيةِ فدخلَ على ابنَتِهِ أمِّ حبيبةَ.

تُراهُ ماذا سيقولُ لابنةٍ تركتْ قومَها وبلدَهَا وهاجرتْ دونَ أن تُودِّعَ أبـاهَـا إلى بلدٍ بعيدٍ، ثم رحلتْ منهُ إلى بلدٍ آخرَ وتزوجتْ أعدى أعداءِ والدها وخصمهُ الذي أرادَ أنْ ينتزعَ منهُ السيادةَ والريادةَ.. (هكذا كان يتصورُ أمرَ الصِّراعِ بينهُ وبينَ الرسول ﷺ).

بين الأب وابنته

وقفَ على بابِ بيتِهـا ونظرَ إليها فتشاغلتْ عنهُ وطوتْ فراشَ رسولِ اللهِ دُونَهُ.

فقالَ: يا بُنيَّة أرغِبتِ بهذا الفراشِ عني أم بي عنهُ؟

قالت: بل هو فراشُ رسولِ اللهِ ﷺ وأنتَ امرؤٌ نجسٌ مشركٌ.

فقالَ: لقد أصابكِ بعدي شَرٌ.

قالتْ: هداني اللهُ للإسلامِ، وأنتَ أبتي سيدُ قريشٍ وكبيرُهَا، كيف يسقطُ عنكَ دخول في الإسلام؟ وأنتَ تعبدُ حجراً لا يسمعُ ولا يبصرُ!!

قال: يا عجبـاهُ! وهذا منكِ أيضاً. أأتركُ ما كان يعبدُ آبائي وأتَّبعُ دينَ محمدٍ؟

ثم قامَ من عندِها.

لقد خرجَ أبو سفيانَ من عند ابنتهِ كسير النفس لا يلوي على شيءٍ، وعادَ إلى مكةَ.

★★★

ومضت الأيامُ، أسلمَ أبو سفيان يومَ الفتحِ، خائفاً وبعد أيامٍ صلُح إسلامُهُ.

وقال رسولُ الله ﷺ يومَ الفتحِ قولة تكريمٍ وتعظيمٍ حينَ خطبَ في أهلِ مكةَ «من دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمن».

فبقيتْ هذهِ الكلماتُ وبقيَ اسمُ أبي سفيانَ إلى يومِ القيامةِ رمزاً لكرمٍ، ودهاءٍ وشجاعةٍ، وعزّةٍ.

لقد شهدَ حُنيناً، وأعطاهُ الرسولُ ﷺ يومَها مئةً من الإبلِ من الغنائمِ.

وشهـدَ قتـالَ الطائفِ، فقُلعتْ عينُهُ حينئذٍ، ثم قُلعتْ الأخرى يومَ اليرموكِ.

وكان يومئذٍ يُحرِّضُ على الجهادِ، وكان تحتَ رايةِ ولده يزيد فكان يصيحُ:

يا نصرَ اللهِ اقتربْ.

الله الله إنكم أنصارُ الإسلام، ودارةُ العربِ، وهؤلاءِ أنصارُ الشركِ ودارةُ الرومِ.

اللهم هذا يومٌ من أيامكَ، اللهم أنزِلْ نصركَ.

لقد كان أسنَّ من رسولِ اللهِ بعشرِ سنينَ وعاشَ بعدَه عشرينَ سنةً.

وكانَ عمرُ بن الخطابِ يحترمُهُ، وذلك لأنهُ كان كبيرَ بني أميةَ، وكان حمُوَ النبيِّ ﷺ وما ماتَ حتى رأى ولديهِ: يزيدَ، ثم معاويةَ، أميرينِ على دمشقَ، وكان يحبُّ الرياسةَ، والذِّكْر، وتوفي في المدينةِ سنةَ إحدى وثلاثين.

ولما ماتَ أبو سفيانَ دعتْ أم حبيبة بطيبٍ فطَلَتْ ذراعَيها وعارضَيها ثم قالت: إني كنتُ عن هذا لغنيةً لولا أني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أن تحدَّ على ميتٍ فوقَ ثلاثٍ إلا على زوجٍ فإنها تحدُّ عليهِ

أربعةَ أشهرٍ وعشراً.

عن أم حبيبة قالت: إن النبي ﷺ قال:

«من صلى أربعاً قبل الظهر، وأربعاً بعدها، حُرِّمَ على النار»[1].

كانت السيدة عائشة تغار منها غيرة شديدة، وكذلك كانت تغار منها أم سلمة.

وكان بين أم حبيبة وأمهات المؤمنينَ بعض مما يكونُ بين الضرائرِ. كان يشتدُّ الخلافُ بينهن حتى يصلَ في بعضِ الأحيانِ إلى إيذاءِ النبيِّ، والنبيُّ ﷺ يصبرُ عليهنَّ.

---

(١) ولقد روت أمُّ حبيبةَ أحاديث أخرى عن رسول الله ﷺ وروى عنها ابنتها حبيبة وأخوها معاوية وأخوها عنبسة بن أبي سفيان وابن أخيها عبدالله بن عتبة وابن اختها أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة الثقفي ومولاها سالم بن شوال المكي ومولاها أبو الجراح وشهر بن حوشب الشامي، وشُتير بن شكل العنسي وعروة بن الزبير، وزينب بنت أبي سلمة، وصفية بنت أبي شيبة وذكوان أبو صالح السمان، ومحمد بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي وأبو المليح الهذلي.

وفاتها

وفي سنةِ أربعٍ وأربعينَ للهجرة[1]، دعتْ أم حبيبة السيدةَ عائشةَ وقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر اللهُ لي ولكِ ما كان من ذلك.

فقالت عائشة: غفر اللهُ لكِ ذلكَ كله وتجاوزَ وحلَّلكِ من ذلك.

فقالت أم حبيبة: سررتِني سرَّكِ اللهُ.

★★★

وأرسلتْ أم حبيبة إلى أمِّ سلمةَ زوج الرسولِ ﷺ، وقالت لها مثل ذلك.

فارتاحت نفسها وقرَّت عينُها، وأغمضتْ جفنَيها، وانتقلت إلى رحمةِ باريها[1].

رحمك اللهُ يا أمَّ حبيبة، يا أم المؤمنين، لقد كنتِ حبيبة

---

(١) في خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان، ويقال: إنها زارت دمشق وتوفيت فيها، وفي دمشق قبر يقال له: قبر أم حبيبة.

حقاً. أنِسَ بك النبيّ وأسعدك بقربِهِ، فكان أن حصلتِ على خَيري الدنيا والآخرة.

رحمـكِ اللهُ أيتهـا المرأةُ لقد كنتِ غاليةً على الحبيبِ حبيبةً إليهِ، ونحنُ المسلمين نحبُّ من أحبَّ حبيبَنا محمداً ﷺ.

اللهم أدخلها، وأدخلنا الجنةَ، واحشرنا في زمرةِ عبيدكَ البررة الصالحين. ووفقنا لما فيه الخير، إنكَ سميعٌ مجيب.

المراجع والمصادر

١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد
٢ ـ صفة الصفوة
٣ ـ العقد الثمين
٤ ـ تاريخ مدينة دمشق
٥ ـ الإصابة
٦ ـ أسد الغابة
٧ ـ تهذيب الكمال
٨ ـ الاعلام للزركلي
٩ ـ سطور مع العظيمات
١٠ ـ شهيرات نساء العرب والإسلام
١١ ـ أعلام النساء

أسئلة

س١ : أم حبيبة شخصية إسلامية بارزة، فمن هو والدها، ومن والدتها ومن تزوجها؟

س٢ : إلى أين هاجرت أم حبيبة، ومع من؟ ولماذا سموا بأصحاب السفينة؟

س٣ : ما هو الشيء الذي رأته أم حبيبة في منامها فأفزعها؟

س٤ : ما اسم الجارية التي جاءت إلى أم حبيبة تبشرها بأن رسول الله ﷺ يطلبها زوجة له؟ ومن الذي زوَّجها؟

س٥ : ماذا قالت أم حبيبة لوالدها عندما أراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ؟

س٦ : عن من روت أم حبيبة ومن روى عنها؟

س٧ : اكتب ثلاث فوائد جنيتها من القصة.